بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإن العالم يتخطى اليوم في سعيه نحو العولمة، التقوقع الإقليمي أو القومي، باحثاً عن روابط فكرية جامعة، أو مصالح مشتركة، أو اختلاف أهداف ومناهج تصلح أساساً للالتقاء وتكون منطلقاً للتعاون والتآلف والإخاء.

وأصبحت الكرة الأرضية، رغم اتساعها، واختلاف جنسياتها ولغاتها، أشبه بقرية كونية صغيرة لا حدود لها، ولا فواصل تعيق مشاهدة ومعرفة ما يدور فوقها من أحداث ووقائع، وأصبح باستطاعة الإنسان أينما كان في هذا الكون أن يرى ويسمع ما يدور في أية منطقة من هذا الكون، وهو جالس على أريكة في بيته.

لقد برز الإعلام إلى الوجود، منذ مطلع القرن الماضي، بوسائله الحديثة وفنونه المتنوعة ليحتل المركز الأول في النظام العالمي، وذلك بما يمتلكه من قدرة فائقة في التأثير النفسي والعقلي، بل ومن توجيه للرأي العام بصفة عامة، وأصبح الإعلام قوة هائلة، وإذا كانت الصحافة قد لقّبت في عصر ما قبل ثورة المعلومات بأنها السلطة الرابعة، فإن الإعلام الآن بتعدد وسائله من صحافة مطبوعة، وإذاعة وتلفاز، ومعلومات تتبادلها أجهزة البريد الإلكتروني تحوّل إلى سلطة رقابة من جهة، وأداة لتشكيل وصناعة الرأي العام، وقوة سياسية يخشاها الساسة والعامة من جهة أخرى.

وتكمن قوة الإعلام في استغلاله لشتى العلوم والمعارف الإنسانية، إضافة إلى استغلاله واستخدامه للتكنولوجيا الحديثة المتطورة، وتوفّره اليوم على جيش من

الخبراء والمهندسين والفنيين والباحثين في شتى التخصصات، ويملك معاهد راقية على المستوى العالمي، ويتوفّر على أموال باهظة لتمويل مشروعاته الناجحة، وإذا ألقينا نظرة سريعة على مالكي سلاح الإعلام، وجدنا أن ميزانية هذا الأخير تفوق ميزانيتي الأمن الغذائي والدفاع.

وتوضح الدراسات الحديثة في مجال الإعلام والاتصال بالجماهير أن العالم الإسلامي هو في مقدمة المناطق التي يستهدفها الإعلام الأجنبي الذي يعمل في إطار متكامل. وبالتنسيق مع وسائل الدعاية المتعددة الأخرى التي يعتمد عليها الغزو الثقافي، مثل السينما والتلفاز والصحافة وغيرها التي تهدف تحقيق ما يسمى بالدعاية الجماعية.

وأخطر ما يواجه المسلمين اليوم هو مؤامرة الاحتواء والصهر في بوتقة الحضارة الغربية والفكر الغربي، ومن هنا فإن على المسلمين أن يكشفوا عن تميّز فكرهم القرآني، ومن أجل هذا عليهم أن يتيقظوا لمحاولات الاحتواء الكثيرة. ومن أهمها نظرية الفكر الحر وحرية الفكر، وهي وسيلة اليهودية العالمية لإفساد الجماعات وهدم كل الأديان، حتى تتمكن الصهيونية من القضاء عليها جميعاً، بعد إثارة الشبهات حولها، وسلاحها في هذا نظريتا الشك والسخرية، وانبعاث نظريات قديمة كالباطنية، ودعوات مجددة كالقاديانية والبهائية.

وتصل هذه المحاولات إلى حد الادعاء بأن القرآن الكريم وحده يكفي في التشريع والاعتقاد والعبادات رغبة في هدم السنة الشريفة التي هي بعد القرآن الكريم مرتبة، حيث تفسر أعمال الرسول ﷺ وأقواله.

وهناك الدعوة إلى نبذ القديم وتحرير العقل من العتيقات، وترقى هذه الدعوات إلى الهجوم على الإسلام، لكنها تتحرّز وتحتاط، حتى تسيطر على عقول الناس وقلوبهم، وتدفعهم إلى الفساد تحت اسم فساد المجتمع وعدم وجود المسؤولية الفردية.

وأصبح من امتلك صناعة الإعلام بكل تخصصاتها هو المتحكم، بل والموجه لشؤون الأمم، سواء أكانت راضية أم رافضة!

ويشكل الغزو الإعلامي خطراً كبيراً على الأمة، أكثر مما يشكله الغزو الفكري، لأن الغزو الفكري موجّه إلى شريحة اجتماعية معينة بَيْد أن الغزو الإعلامي يوجه إلى شرائح المجتمع كافة، لأنه يعتمد الوسائل السمعية البصرية، وبأسلوب ترفيهي تشويقي، انطلاقاً من الكلمة والصورة، وابتداء من الرسوم المتحركة، إلى البرامج الثقافية، والمسلسلات، والأفلام، إلى البرامج الترفيهية، والأغاني والسهرات، وكلها تُسْهم بِنِسب مختلفة في توجيه عقل الأمة ووعيها إلى هدف معين، ودفعها للسير في درب مُعين يخدم مصالح الدول الاستعمارية.

ومن نافذة إهمالنا لصناعة الإعلام، ولج خصومنا صناعة الإعلام، وصنعوا فينا كل ما نحن الآن من ضعف وتشرذم، وإن إيجاد إعلام إسلامي معاصر لَمُهمة شاقة وصعبة، ولكنها غير مستحيلة إذا أخلصنا النية، وأخذنا بالأساليب العلمية التي توصلت إليها الإنسانية.

وإذا كان النظام الدولي الجديد يدعو إلى عَوْلمة البشر، ويدعو إلى نظام عالمي عادل، فالأولى بنا طرح الإسلام نظاماً عالمياً جديداً يحقق الأمن والسلام لشعوب العالم كافة، ولن يتم ذلك، ونحن نقف متفرجين على العالم، وهو يتشكل في انتظار عولمة عادلة، وقد لا تأتي!

علينا تفعيل مؤسساتنا الإعلامية، وعَقْلَنَة برامجنا الإعلامية، وجعلها منابر موضوعية للنقد والبناء، يحكمها وازع مهني قائم على ثلة من القيم الإسلامية، يكون أساسها نقطة الوثوب إلى المستقبل لا قفزة في المجهول.

ويمكننا عبر وسائل الإعلام مخاطبة كل إنسان بالأسلوب الذي يفهمه لإبلاغه الدعوة الإسلامية، وشرح قضايانا، إذا أحسنّا استخدام وسائل الإعلام، والإفادة من طاقاتها، علماً أن الإعلام أو التبليغ كان وسيلة الإعلام الأولى لتوصيل الدعوة الإسلامية إلى العالمين، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾[1].

(1) سورة: القصص، الآية: 51.

لذلك كان كتاب «الإعلام الإسلامي، واقع ومرتجى»، دعوة للإعلام الإسلامي، لا لأن يكون له مكان مميّز تحت الشمس، بل المكان المميّز والرائد تحت الشمس، والله ولي النعمة والتوفيق.

الدكتور عبد الرحمٰن عثمان حجازي